في الأدب الغربي

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

«أوبرن» ياجنة في سفح وادينا يانفحة السحر من فردوس ماضينا
حيث السعادة للحصاد (١) عافية تشد منه ، وخيرات أفانينا
وحيث تبدو بواكير الربيع بها غيسا قبل أن تغشى الباتينا
وحيث يخلف فيك الصيف بهجته زهرا يرف ، وأطيارا تغنينا

معاهد كنت أغشى في عرائشها ثرى بُلهنية (٢) قد طاب أردانا
مقاعد من شباب كله مرح سقيت فيها الهوى والسحر خلصانا ،
جررت ذيل شباني في خمائلها تيها ، ومايت فيها اللهو ألوانا
حيث السعادة فيها وهي وادعة تعز من كل شيء فوقها هانا

لكم وقفت لأستملي مناظرها وأملأ العين سحرا جد مختلس
أشاهد الكوخ في أظلال أيكه والجدول العذب يجري غير محتبس
وألمح البيعة الزهراء مشرفة من سفح راية في دجنة الغلس
أصغي إلى الليل والطاحون صاخبة والطير تشدو بصوت ناعم الجرس

هناك في دغل هذا الدوح كم أنست فيه الطفولة مغنى من مغانينا
كانت مطاف الهوى في طيب عزلتها حينا .. وكانت مطافا للأسى حينا
كم حمل النسم من أطرافها عبقا تساجل الشيب أو همس المحبينا
ولم نحمدنا ليوم اللهو مقتدمه فيها لنحيي بها أصـــفى لياليا

يوم ترفه عنها النفس مالقيت من المتاعب في رفق وإبطاء
ويجمع الحاصدون الغر شملهم في ظل فيانة الأغصان فرعاء
تحوبهم حلقات من شبابهم فيرقصون على المزمار والناء
يناجزون من الألعاب أنوعها والشيب يلحظهم لحظات إغراء

وإن يمل من الألعاب صحبتهم استأنفوا طارفا للهو وانتمروا
كل ينافس في صبر وفي جلد رفيقه ـ ليقال الغالب الظفر

وفي تداول في الآفاق سيرته ويشهر الخبي ماأبدى فيشتهر
قد استخف بما يلقاه من تعب والترب يعلو جبينا منه والعفر

بينا ترى سامرا في القوم معتطيا يروي النكات لهم والكل مبتهج
يتلو عليهم طريفا من نوادره حلوا يكاد مع الأرواح يمتزج
ورب ساجية الأجفان فاتنة ظلت ترانيه منها أعين دعج
وتفهم الأم ماترمي فتحدجها حدج الملامة في صمت فتزعج

آها لعهدك ، ياأوبرن ، أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا
هذي المفاتن كانت في ترادفها توحي إلى قلب أهليك الهوى الشغفا
على خمائلها فاضت مراتعها سحرا ـ ورفت على أدغالها طرفا
مفاتن ! أذوت الأيام بهجتها وصيرتها الليالي للبلى هدفا

«أوبرن» أين تولت من مغانيك هذي الملاهي وفرت من روابيك؟
لقد تمشت يد العافي عليك فلم ترحم قلوب الحزاني من أهاليك
وقد علاك شحوب من تعسفها ووحشة قد تمشت في مراعيك
بأي حكم زمان صار يحكمها فرد ـ وكانت تراثا في أواليك

كانوا جميعا ـ فأمسى جمعهم بددا والربع أقوى ـ وكان الربع مأنوسا
والسهل لم يبق فيه بعد نضرته إلا بقية زرع كان مغروسا
والجدول العذب لم تبصر تألقه كما عهدنا ـ وفيه اليوم معكوسا
لكن سرى وهو بالأعشاب محتفق يشق مجراه بين الغاب محبوسا

وفي مفارجك الخضراء حل بها ضيف غريب من الأدغال قد هتفا
هذا هو الرخم يبني وكره ويرى مستمكنا في ذرى الأغصان مشرفا
وفي طلولك تدوي اليوم ناعبة تنعى بصوت كئيب ماضيا سلفا
آها لعهدك ياأوبرن أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا

هذي خمائلك الخضراء ذاوية حالت مباهجها . دالت دواليها
توائبت فوقها الأعشاب هائشة والحقل أصبح ضيفا راعيا فيها
واليوم أهلك في خوف وفي وجل من بطش منفرد الأحكام طاغيها
قد بدلوا عيش أرض غير أرضهم وبدلوا ود أهل غير أهليها

« تتبع . . . » م . ع . الهمشري

(١) أصل هذه الكلمة swain ومعناها فلاح ولكنا لم نجد في اللغة العربية لفظة مرادفة لها غير فلاح فاستبدلناها بلفظة « حصاد » . (٢) المقصود بها مكان اللهو واللعب .